

الرَّحْمَةُ عَلَيْكَ
الْقَائِدُ أَبُو حَازِمَةَ الْبُورْدِ

تَأْلَفُ
الْعَلَّامَةُ عَلِيٌّ بْنُ سُلْطَانَ الْقَارِي

دِرَاسَةٌ وَتَحْقِيقُ
عَلِيٌّ رِضَا بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ رِضَا

مَدْرَاسَةُ الْمُصَوِّفَاتِ لِلْإِسْلَامِ

دمشق ص.ب. : ٤٩٧١ ، هاتف : ٢٢٢٩٨٢٠

الْبَيْعَاتُ
الْقَائِلَةُ بِوَحْدَةِ الْجُودِ

كافة حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م



مُطَبَّعٌ بِمَشْرِقِ الدُّنْيَا

دَارُ الْمَأْمُونِ لِلتُّرَاثِ

دمشق - ص.ب. ٤٩٧١ - هاتف ٢٢٢٩٨٢

بيروت - ص.ب. ١١٣/٦٢٣٣ - هاتف ٨١.٥٧١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مدخل

ما أعرف مذهباً - أعزك الله - انحطّ إلى دركٍ من الكفر والإلحاد ، يشوبه من حديث المجانين ألوان - انحطاطٌ مذهب أهل وحدة الوجود . فلو بحثت شرقاً ومغرباً وشمالاً وجنوباً ، وغُصت في بطون الكتب ، ونقبت في تاريخ فكر بني آدم مُذ عُرِف لهم فكر وإلى يومهم هذا ؛ لما خلّتك تقف على أفزع منه كفراً وأشنع إلحاداً ؛ ذلك أن مذهبهم يجمع في طيّته كل منكر في عقل ودين ، فتراه يؤمن بالمتناقضات ، ويدمر الفضيلة ، وينسف قبل ذلك كلّ دين الرسل أجمعين ، بل وكلّ دين سماويٍّ وأرضيٍّ .

نعم ؛ ولا يكاد المرء يصدّق أن فلسفة هؤلاء يقولها ويعتقدّها عاقلٌ ، فكيف لو نسبت إلى أئمة يوصفون بأنهم أولياء الله عز وجل ؟ بل كيف لو قيل فيها إنها نهاية التحقيق وغاية الغايات وسر الوصول ؟ !

قال شاعرهم :

وما أنت غيرَ الكونِ بل أنت عينهُ ويشهدُ هذا السرُّ من هو ذائقُ
ويقول آخر غلبت عليه شهوته وشقوته :

وتلتذُّ إن مرّت على جسدي يدي لأنني في التحقيق لست سواكم
لا جرم أن مصدّق هؤلاء لا يعدو إحدى خصلتين : إما جاهل بمقاصد القوم ومرامهم ، فهو يحسن الظنّ بهم ويعدّ كلامهم وتصانيفهم من الأسرار الإلهية التي اختص بفهمها أولياء الله بزعمهم ، أو هو زنديق اتخذ الشريعة عبثاً يلبس الحقّ بالباطل ، يريد بذلك إفساد الدين ونقض أسسه .

وأعجب من كل عجيبة أن تجد بين أهل العلم من عقلاء الناس وأهل الأدب والفهم من يحسن الظنّ بأئمة هذه النحلة الوجودية ، ويحدّثك عنهم

حديث المغرم المفتون ، فله ما أحقرها من عقول ترتمي بين أقدام الجهل
والزندقة !!

والحق أن لكهنة هذا المذهب حباثل يوقعون بها من ذكرت ، فمن
تلك ما بيّنها شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية - رحمة الله عليه - إذ يقول
في درء التعارض : « وسبب ذلك أن قول هؤلاء الحلولية والاتحادية
مسقف بالتأله والتعبد والتصوف والأخلاق ودعوى المكاشفة والمخاطبات ،
ونحو ذلك مما لا يكاد يفهمه أكثر النفاة . فإذا كانوا لا يفهمون حقيقة
قولهم ، سلموا إليهم ما يقولون ، وظنوا أن هذا من جنس كلام أكابر أولياء
الله الذين أطلعهم الله من الحقائق على ما يقصر عنه عقول أكثر الخلائق ،
وسلموا إليهم ما لا يفهمونه من أقوالهم كما يسلمون للنبي ﷺ ما
لا يفهمونه من أقواله ، فيعظمون هؤلاء كما يعظمون الرسول ، بمثابة من
صدق محمداً رسول الله ﷺ ومسيلمة الكذاب صدق كلا منهما في أنه
رسول الله ، كحال أهل الردة الذين آمنوا بمسيلمة المتنبى مع دعواهم أنهم
مؤمنون بمحمد رسول الله ، ولا يعرفون ما بين قول هذا وهذا من المناقضة
والمنافاة لعدم تحققهم في الإيمان بمحمد ﷺ » هذا ولشيخ الإسلام النصيب
الأوفر في الرد على أهل الوحدة وإلقامهم الحجر ، فإن شئت أيها القارئ
أن تثلج صدرك ببعض حججه وبالنفيس من درره ، فعليك بردوده على
الفلاسفة والمتكلمين والمتصوفة مثل (درء تعارض العقل والنقل) أو
فعليك بالفتاوى ففيها ما لا غنى لك عنه ، كذلك فإنني أوصيك - وفقني الله
وإياك - بأن تقرأ في هذا الموضوع ما كتبه عالم من علماء عصرنا ، ألا وهو
آخر شيوخ الإسلام للدولة العثمانية العلامة الشيخ مصطفى صبري - رحمه
الله وغفر له - فإنه في معرفة علوم المتكلمين والفلاسفة والمتصوفة يقرب
من أبي العباس ، بيد أن منهج مصطفى صبري يحيد عن سبيل السلف
الصالح في أمور نسأل الله أن يغفرها له ، وذلك لقلة علمه بأخبار السلف
وطريقتهم إلا أن ذلك ليس بصاد طالب العلم من أن يأخذ (ما صفا ويدع
ما كدر) كما قال الأول . وبعد فللرجل صولات وجولات في جهاد

العلمانيين في مصر وتركيا ، ومطالعة كتابه : « موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين » تكفي لبيان فضائل الشيخ . والذي أحب أن أنقله لك هنا هو بعض ما قاله في هذا الكتاب عن إمام أهل الوحدة وقائدهم ابن عربي ، حتى تعلم كيف تلتقي طرق ذوي الفطرة السليمة في إنكار هذه الزندقة ، أعني النماذج الثلاثة : ابن تيمية وعلي القاري ومصطفى صبري رحمهم الله عز وجل .

يقول في صفحة ١٨٨ الجزء الثالث من موقف العقل معلقاً على كلام ابن عربي في فصوص الحكم في فص : (حكمة فردية في كلمة محمدية) شهود الحق في النساء أعظم الشهود وأكمله ، وأعظم الوصلة والنكاح . . . وأنه لو علم الناكح روح المسألة ، لعلم بمن التذّ ومن التذّ يقول الشيخ : (يتجلّى لصاحب العقل والإنصاف من هذا القول لصاحب الفصوص ، المتناهي في إساءة الأدب مع الله ، بطلانُ مذهب وحدة الوجود إنجلاءً ظاهراً ، لأن ذلك المذهب هو الذي يجبر صاحب الفصوص إلى التفوه بمثل هذه السخافات ، وإلا فليس هذا الرجل الذي يعدّ عند كثير من الغافلين من أولياء الله العارفين ، ويسمى بالشيخ الأكبر من المجانين ، فإن صحّ مذهب وحدة الوجود ، صحّ القول بمثل تلك السخافات ، وكان قائلها معذوراً ، بل صحّ لمن شاء أن يقول ما شاء قوله ، ويفعل ما شاء فعله ، كما قيل : فتصرف من شئت ولو أختك وأمك لأن كل قائل وكل فاعل هو الله الذي لا يسأل عما يفعل) ويقول في موضع آخر صفحة ٢٥٨ الجزء الثالث مفنداً زعم مؤلف يحسن الظن بابن عربي ويقول بتأويل كلامه المخالف للشرع : (. . . فإن كان المؤلف يدعي أن أقوال الشيخ الأكبر الطائشة مؤولة ، فليؤول أقوال هؤلاء الزنادقة الأدعياء أيضاً وأفعالهم ولا يشكهم ، كما لا يشكو أقوال الشيخ . ومن يدري أنهم ليسوا بأولياء عارفين مثله لا يضرهم أن يستبيحوا الحرمات ويخرجوا على تكاليف الشرع الإسلامي ، كما لا يضر منزلة الشيخ عند الله وعند الناس قوله :

العبْدُ ربُّ والرَبِّ عبْدُ يا ليتَ شعري من المكلف